.. وآخره عتق من النار

صنعاء.. وليالٍ عشر

علي الشرجي

مساجد عامرة بالعباد .. ومآذن تلهج بذكر الله

تكثر الطاعات والصدقات والزيارات .. ويعود الأحبة

يودعون بشوق وحنين ضيفهم العزيز (أبو الحماحم) - كما يحلو للاطفال تسميته - إنهم منشغلون جميعاً في توديعه كلاً بطريقته .. يودعون سيد الشهور .. حاملاً معه أسرار رحلته وعطايا قلبه الراحل..

البعض عيونهم تترقب (الهلال) القادم .. والبعض الآخر لا يلتفت الى شيء .. والكل يترجى الله العتق من النار .. يتنافسون على اغتنام بركة وآخر الشهر الفضيل .. حيث ليلة القدر تلامس شغف القلوب .. فيعيدون الحسابات ويعدون العدة للظفر بالجائزة الكبرى التي لا تضاهى ..

يتواصون بالحب والايثار والتراحم والعطاء في الجوامع والاسمار وحلقات الذكر .. أصوات بطعم الرجاء .. تلهج بذكر الله فترفرف الافئدة كالحمائم في ليال رمضانية صنعانية تزينها النجوم والقناديل.

كما تبدو -ثمة أمور في سياق مفارقات - ربما اكثرها لا تبدي بجلاء سوى في هذه الليالي الفضيلة.

● تمر الأيام ويبدأ العد التنازلي للشهر الكريم .. نودع رمضان وكلنا طامع في رحمة الله، ومغفرته .. أمل في ان تناله نفحة من نفحات الشهر الفضيل والعشر الأواخر ليس كل الأيام والليالي ورمضان ليس كل الشهور .. فلقد ميزه الله وجعله سيداً لشهور العام وميز عباد الله بعادات وتقاليد وقيم تدخل البهجة الى النفوس وتحملها العقول ذكرى عطرة تتداولها الالسن بكل شوق وحنين لاستقبالها مرة أخرى.

وأكثر العادات الرمضانية التي تأصلت على مر العصور في اليمن ومنها صنعاء وفي العشر الأواخر بالذات هي الاكثار من العبادات آناء الليل وأطراف النهار والحرص على أعمال الخيرات والبر والاحسان .. وكذلك عادة التزاور والالتقاء بالاهل والجيران والاصدقاء..

ففي الليالي العشر الأخيرة من رمضان تزداد متعة هذا الشهر وروحانيته وبساطته .. وليس امتع من الليالي العشر الأواخر في رمضان.

من الناس من يقيم الليل في الجوامع .. ومنهم في المجالس الرمضانية (الموالد) .. قراءة المصحف تمر على الصغير والكبير والتهليل والتكبير والاستغفار يسود المكان والزمان في أغلب الاحوال.

مشاهدات عابرة

● مشاهدات عابرة في مساجد وجوامع مدينة صنعاء الى جانب ما مسمعناه ورأيناه في بعض البيوت المتفرقة .. تدرك ان سكان صنعاء واليمن عموماً يعيشون العشر الأواخر ليالي استثنائية في هذا الشهر الفضيل.

مع انطلاقة قذيفة مدفع (برق لاح) الرابض فوق التباب المحاذية لجبل نقم الاشم .. يبدأ ليل صنعاء الرمضاني بتألق الانوار في مآذن تلهج بذكر الله وتتلألأ القناديل في الاسواق والاحياء وشوارع المدينة العصماء الساحرة .. تتجسد البهجة على الوجوه بعد الافطار وصلاة المغرب حيث يتوجه الرجال الى المساجد صغارا وكباراً وهم منهمكون في النظر الى مسابح تتدلى بين أصابعهم والسنة رطبة بذكر الله الحي القيوم .. والبعض يصلي مع الاسرة جماعة في البيت كما تقام ولائم الافطار الجماعية بعناية .. والايادي تشد بعضها بعضاً في جو روحاني وعناق أخوي حار .. القلوب تتهادى والايدي والعيون تتبادل التحايا .. كذلك تحايا الرسائل القصيرة عبر اجهزة الـ: جي اس ام .. يدعو الجميع للجميع بالعون والحث على ضرورة اغتنام بركات أواخر الشهر الكريم..

في مدخل جامع قبة المتوكل وجدنا أنفسنا قبل أداء صلاة العشاء والتراويح ثالث أيام العشر الأواخر- دفعة واحدة وسط زحام المصلين بما فيهم اصحاب تجارة الرصيف و(البسطات) في ميدان التحرير وشارع القيادة وكذا جموع المتسولين يحرص بعضهم على اكمال صلاة التراويح جماعة في المسجد حتى النهاية .

مدد روحي حلق في فضاء المكان .. دعوات متكررة بالخير والبركة والسلام لكل المسلمين الجميع في حركة دؤوبة للتقرب الى الله بمزيد من النوافل والتسبيح والتكبير والتهليل والتسابق على قراءة المصحف الشريف.

خواتم مباركة

● علامات الابتهاج والانشغال بالتسبيح والاستغفار بدت زاهية على وجه شيخ صنعاني مسن تتدلى بين يديه مسبحة طويلة كان يحركها برفق ولسانه تتمتم بحمدالله وشكره .. وعندما صعدنا معاً الى الحافلة باشر بتهنئة الركاب : (خواتم مباركة يا عيالي) .. تبادلنا معه أطراف الحديث عن عظمة هذه الليالي فعرفنا انه ذاهب للتزاور وصلة الارحام فهو يفضل هذه الليالي عن العيد اعتقاداً منه ببركة الليالي العشر من رمضان التي تتضاعف فيها الأجور وتذهب الحسنات السيئات فهو لا يهتم بزيارات العيد يصل أرحامه عادة بالعشر الأواخر من رمضان خاصة البعيدين عنه.

● محمد عباس حكى لنا عن ظروف حياته طوال السنة .. فهو دائم الاسفار ولكنه يحرص دائماً على أن تكون اجازته في العشر الاواخر من رمضان كل عام ..قال: إن لهذه الايام والليالي المباركة خاصة متميزة تجعل الانسان لا يشعر بالسعادة والطمانينة الا في المسجد مع القرآن وحلقات الذكر والاستغفار .. حيث يتحقق لي القرب من الله والقرب من الاهل والجيران .. فهذه الايام والليالي فرصة لأن تتوحد القلوب على طاعة الله وذكره وتسهم في تجديد واحياء صلات روحية ربما لا يلتفت اليها الانسان بحكم ظروف العمل التي قد تحكم أحياناً .. لافتاً النظر الى تراجع عادات وتقاليد رمضانية الفتها مدينة صنعاء خصوصاً في أماسيها وموالدها وأسمارها وتجمعات (كرنفالية) كانت تشهدها المدينة في جو اجتماعي مثمر يهدف الى التلاقي والتعاضد والاندماج.

من التقاليد الحاضرة .. ترديد كلمات جميلة تقال بين الأطفال وهم في جماعات خاصة في العشر من رمضان - يقولون: (مودع .. مودع يا رمضان .. فيك العبادة وفيك الصيام).

صور موجزة

● أبرز صور الاهتمام بأيام وليالي العشر الأواخر من شهر رمضان الفضيل أوجزها الاخ عبدالله علي العصري بالآتي:

اولاً: تظل المساجد والجوامع أبوابها مفتوحة على مدار الساعة لتستقبل الاعداد الغفيرة من المصلين والمعتكفين .. وتتهيأ لهم الفرصة للتلاوة والاطلاع والتزود بما تزخر به المساجد من مصاحف ومراجع وكتب التفسير والحديث والفقه والعقيدة.

ثانياً: الاستفادة من دروس ومحاضرات وخواطر يومية يلقيها العلماء والدعاة تتناول جميع القضايا الاسلامية .. حيث تتحول المساجد والجوامع طيلة أيام وليالي العشر الأواخر من رمضان - الى خلايا تشع نوراً وروحانية وتستغل كل الأوقات والطاقات لتوجيه القلوب الى الطاعة والعقول إلى المعرفة والنفوس الى البر والاحسان..

ثالثاً: تجد مناسبة العشر الأواخر فرصة ثمينة للالتقاء بمشاهير العلماء والدعاة ورجال الافتاء والارشاد وكل من يشتاق الى رواد المساجد وحلقات الذكر ورؤيتهم والجلوس اليهم والاستفادة من علمهم.

عمائم بيضاء وثمة تراتيل جميلة ترهف السمع اليها .. تتردد من داخل حلقات المساجد ويتردد صداها في الارجاء .. كل مساجد وجوامع العاصمة صنعاء - تعيش هذه الأيام والليالي أجواء ايمانية حميمة .. الهدوء يسود الامكنة الا من مكبرات الصوت توحد الله وتستغفره..

في الجامع الكبير

● الجامع الكبير بصنعاء القديمة كغيره .. تجده هذه الايام والليالي عامرا بالمعتكفين والمصلين وقارئي القرآن .. حيث تلاحظ - عالما أبيض - اي المعممين وهم في الغالب وقليل منهم يعمرون الليالي العشر حتى التسبيحة الاولى فيعودون الى منازلهم..

كثرة الاصوات المرتلة للقرآن الكريم تشبه طنين النحل - كما شبهها محمد علي الاكوع - وبعضهم يسرقه النعاس - أحيانا وهم منكبون فوق المصاحف..

فمع بدء العد التنازلي والطاعات والاتصال بالله عز وجل فيقطعون كل وسائل الاتصال المعتادة الى ما بعد رمضان .. في مشاهد تخشع لها القلوب فعلاً.

وتبقى لليلة الـ(٢٧) من رمضان خصوصيتها على الدوام .. الكل يحيي هذه الليلة كباراً وصغاراً حتى طلوع الشمس حسب قول الاخ عبدالسلام عثمان وذلك بالأذكار والأدعية والقرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار .. والكل يدعو لتحقيق أمانيه.

فعند الاسحار تغص المساجد بالعباد ما بين راكع وساجد تفوح منها رائحة البخور .. وسط حلقات الوعظ والتضرع الى الخالق المعبود .. ومكبرات الصوت تلهج بأصوات مشاهير المقرئين.. كأنها أصوات من السماء تسري في النفوس وتخشع لها افئدة المؤمنين.

ومن يتأمل تفاصيل هذه الليالي في صنعاء .. سيلاحظ غياب المسحراتي وصوته الشجي بالابتهالات الدينية والمدائح كما في سائر المناطق اليمنية.

أداء حق الله

● تتجلى قيم التكافل الاجتماعي في العشر الأواخر من شهر رمضان .. فالناس في صنعاء كسائر اليمن يراجعون أنفسهم في شهر أول رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار .. حيث يسارعون الى فعل الخيرات وأداء حق الله.

وتبدو طوابير المحتاجين مزدحمة هذه الايام والليالي بصورة تلفت النظر وذلك أمام أبواب القادرين على البذل والعطاء .. هنالك ينتظرون أكفاً ندية تعطي كل متسول .. حتى غير الفقراء والمحتاجين وبسخاء ملحوظ خلال العشر الأواخر من أيام وليالي الشهر الكريم حيث تمنح كل الايادي المرتجفة نصيبها من بركة هذه الأيام والليالي الفضيلة .. صدقات ومعونات .. ونظرات شفقة للمرضى غير القادرين على العلاج أو المعوقين .. ومن انقطعت بهم السبل في زحام الحياة.

طوابير طويلة ترتص صفوفهم .. نادراً ما تجد بأيديهم شهادات اثبات العوز والحاجة تؤهلهم للتسول وهي تلك الاوراق الطبية أو أوراق مكتوبة من عقال الحارات والمشائخ تفيد بأن حامل هذه الورقة محتاج يا محسنين ومغروم .. (من يقرض الله قرضاً حسناً) بحيث صارت وسيلة للتسول في كثير من الحالات في سائر الايام.

يشيع البعض أن ثمة ميسورين يزاحمون اولئك المساكين في طوابير الفقر والنكد .. مثل هؤلاء الذين يخافون ربهم في العشر الأواخر من رمضان .. كيف حالهم يا ترى طيلة العام..

هل يظلون يمدون أيادي الحاجة رغم تخمة بطونهم.

ومتسولون من نوع آخر يحملون صفة مشاريع خيرية تظهر بالعشرات في العشر الأواخر من رمضان خصوصاً حيث تعمل على استدرار حسنات الاغنياء والميسورين .. وما أكثر الاحاديث هذه الليالي عن الخيرات والبر والاحسان.

وحسب المنفلوطي ما قاله: (لو تراحم الناس ما كان بينهم عار ولا جائع ولا مغبون أو مهضوم).

ومايؤمن به الناس هنا أن رمضان شهر التوبة والغفران والعفة وارتقاء العقول وتزكية النفوس والضمائر .... وآخره عتق من النار..

ولا يبقى هنا سوى أن نهتف مع الأطفال في كل الأزقة والحواري الصنعانية .. وبأعلى صوت:

(مودع مودع يارمضان ... ياسعد من صلى فيك وصام)!!

رددوا هذا جميعاً .. حتماً ستفتقدون (أبو الحماحم)!!

تعاد حسابات العُمر.. وشغف ترقب ليلة القدر

أشواق

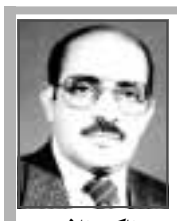

عبدالكريم الخميسي

اسألوا العولمة!!

■ إذا أردتم أن تعرفوا سبب الغلاء الفاحش في الأسواق اليمنية .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تعرفوا أسباب اختفاء الطبقة الوسطى في الدول النامية .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تعرفوا لماذا ازداد الفقير فقراً والغني غنى .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تعرفوا السبب في تفشي ظاهرة الغش التجاري والصناعي .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تعرفوا أسباب النجاح الذي يحققه «تجار الشنطة» في بلادنا .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تعرفوا السبب في ازدهار الفساد المالي والإداري عندنا .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تدركوا السبب في تشرذم الدول النامية - ومنها بلداننا العربية - فاسألوا العولمة!!

■ وإذا شئتم أن تعرفوا السبب في سيطرة الصهيونية على النظام العالمي الجديد .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تفهموا السبب في هيمنة إسرائيل على العرب .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تكتشفوا السر فيما أصاب الأمم المتحدة من الشلل .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تعلموا كيف استطاع «الحمار» أن يفوز على «الفيل» في أمريكا .. فاسألوا العولمة!!

■ وإذا أردتم أن تعرفوا ما هي العولمة .. فاسألوا منظمة التجارة العالمية .. «ولا جاكم شر».

ص . ب (٤٨٤١)
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

محمد العريقي

غذاء من خارج الحدود

■ هناك أساسيات لحياة الانسان .. إذا ماتوفرت يستطيع بعدها أن ينطلق لتأمين الاحتياجات الأخرى (مادية ومعنوية).

وأهم تلك الحاجيات «الماء والغذاء والهواء».

● وبالنسبة للعرب، الهواء بحمد الله متوفر، وربما أنقى بكثير مما هو في الدول المتقدمة .. وإن بدأت مظاهر التلوث تعكر صفوه في المدن الرئيسية.

● لكن الحاجتين الأساسيتين الأخريتين وضعهما متذبذب وغير مستقر حتى الآن لأسباب كثيرة..

● وبالنسبة للمياه ومظاهر الندرة التي تعيشها المنطقة العربية وخطورة تجاهلها على مستقبل احتياجات السكان لمياه الشرب والقطاعات الزراعية والصناعية والخدمية تحدثنا عنها كثيراً .. ومن واجبنا وواجب كل مهتم بحياة الناس أن يظل يثيرها ويذكر بها باستمرار.

● وهنا أذكر أيضاً بالاحتياج الثالث وهو الغذاء .. فالوضع هو الآخر يثير القلق والمخاوف من تنامي العجز في توفيره لسكان يتزايدون بالملايين سنوياً.

● رغم المؤشرات بأن العرب يسيرون باتجاه التخفيف من الفقر الغذائي .. إلا أن تلك المؤشرات تكشف أن الكثير من اعتمادات العرب وتوفير السلع الرئيسية الغذائية (كالقمح، والأرز، والسكر، واللحوم) لاتزال تستورد كميات كبيرة منها من الخارج.

● والمخاوف ليس في أن العرب يستوردون حاجياتهم من الغذاء فقد يكون لديهم المال الكافي .. ولكن المشكلة مايترتب من تبعية العرب للدول الكبرى المرتبطة بمصالح مؤثرة مع الدول المصدرة.

● وعلماء الاقتصاد والاجتماع والسياسة يعرفون خطورة ارتهان الأمن الغذائي بدول أخرى وماذا يعني ذلك إذا استخدمت تلك كسلاح للضغط والابتزاز في أي ظرف من الظروف.

● الدول العربية تستطيع التغلب على هذا التحدي الاستراتيجي بخطوات عملية وعلمية جماعية وتكاملية، فالأرض العربية واسعة .. والمال العربي وفير يستطيع أن يقيم مشروعات زراعية ومائية عملاقة .. عندها نأمن من أي مخاوف أو مكائد يخبيها لنا الزمن.

alariky@maktoob.com